الطير والانسان

للشاعر المهجري أسعد رستم

لله زقزقة العصافير في الفجر ... كم فرجت عنك من هم ومن ضجر

لكن نفسك والعدوان شيمتها ... كم حدّثتك بوصف الطير بالحجر

لا يعرف الناس قدر المحسنين فكم ... راح الجميل سدى في العالم البشري

يشنّف الطير مجاناً مسامعنا ... بكل لحن جميل الوقع مبتكر

ونحن نصب أشراكاً لتقتله ... ويشتهيه غذاء كل مفتخر

كأنّنا نحن في حرب على سفن ... نصليه ناراً ولا نشكو من الضجر

ونملأ الأرض والآفاق مرجلة ... على صغير كهذا غير مقتدر

وفي سجون من الأقفاص نحصره ... وإنما الصوت منه غير منحصر

يشكو إلى الله بطش العالمين به ... وظلمهم وهو من كل الذنوب برى

تأمل الطير بالألوان مزدهراً ... فانه صورة من أبدع الصور

وانظر إليه على الأغصان منتقلاً ... بسرعة أين منها سرعة البصر

بخفة يشبهها البارعون على مسارح الرقص من أنثى ومن ذكر
يفرّ منك إذا منه اقتربت فلا يريد عشرة مخارق من البشر
وليس يسطو على الارزاق طلبتها إلاّ لينقد من حب ومن ثمر
وليس يؤذي بمقدار له أحداً إلاّ مدافعة في حالة الخطر
وإنما المرء يسطو وهو مغتصب مالاً وقوتاً بداهي النهم والبطر
يظل ما دام في قيد الحياة على سواه معتدياً للفوز والظفر
لا يختفي الطير في الأوكار مستتراً إلاّ لكي يحتمي فيها من المطر
والمرء يمضي عن الابصار مختفياً لسرقة أو لقتل غير مغتفر
ومعشر الطير قوم ليس بينهم ولا الغراب قبيح غير معتبر
يبكّر الطير إن حان الماء إلى نوم وينهض للتغريد في السحر
وإنما المرء يقضي جسمه تعباً مقصراً عمره المحدود بالسهر
يحيي الليالي لعباً بالقمار وكم ظل الريال بعيداً عنه كالقمر
يقوم مستبقظاً من نومه سحراً معربداً بلسان شاتم قذر
الطير أسمى من الانسان منزلة فذاك تحت وهذا فوق في الوكر
وبين ذاك وهذا لا مناسبة والفرق بينهما باد لذي النظر
فالطير هام بنقد الحب منفعة والمرء هام بحب النقد للغرر